الارهاب والسلوك الارهابي
(المدخلات والعلاج)

أ.د . فكرت نامق العاني (*)

المقدمة

تُعد ظاهرة الارهاب من أخطر الظواهر التي تواجه المجتمع الدولي اليوم، وتتضح خطورة هذه الظاهرة في عدد ضحايا الارهاب وفي الخسائر المادية الناجمة عنه.

ولايقتصرالارهاب اليوم على افعال يرتكبها فرد او مجموعة افراد بدافع الحصول على منافع مادية أو سياسية، بل انه يشمل ايضاً الحملات الواسعة التي تشنها الدول لقمع حركات تحررية وطنية أو لفرض سياسات أو اتجاهات داخلية أو خارجية على دول اخرى. وهكذا يتحول الارهاب الى أداة من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية والى وسيلة من وسائل التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى. ولا شك ان هذا يؤدي الى تأزم العلاقات بينها قد يدفعها في النهاية الى قطيعة او نزاعات مسلحة مدمرة.

ان هذه الخطورة التي ينطوي عليها الارهاب، هي التي دفعتنا الى البحث في هذه المشكلة.. ان هذه الدراسة تتوخى الاجابة عن مجموعة اسئلة: ما هو الارهاب؟ وما هي العوامل التي تدفع الفرد الى السلوك الارهابي؟ وما هي النظريات النفسية التي تفسر هذا السلوك؟ وهل العوامل الدينية هي السبب الرئيسي لهذا السلوك؟ ام هناك عوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية اخرى كمدخلات للسلوك الارهابي؟ ثم كيف نعالج ظاهرة الارهاب ومن المسؤول عن علاجها؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة وغيرها يتطلب منا تناول الموضوع على الوفق الاتي:

المبحث الاول: في تعريف الارهاب:

ليس هناك مصطلح احاطه الغموض واثار الجدل الواسع مثلما اثاره مصطلح الارهاب.. فكل من حاول التصدي لهذا المفهوم كان يواجه العديد من التعريفات والمدلولات المتباينة، وذلك يرجع الى ان الارهاب ذاته ليس جديداً، وانما ترجع جذوره الى عصر الجمهوريات اليونانية والرومانية القديمة[1]، فضلاً عن ان هؤلاء الكتاب في تصديهم لهذا المفهوم، انما ينطلقون من اعتبارات الايديولوجية التي

(*) رئيس قسم السياسة الدولية في كلية العلوم السياسية / جامعة النهرين / العراق

1 Robent A. Friedle , Terrorism Document of International and Local Control , Vol . 1 , 1978 , Oceana Publication Inc . Dobbs Free . New Youk , pp7-10 .

انظر ايضاً الدكتور أمير اسكندر ، عن الارهاب والثورة ، مجلة المنار ، باريس ، العدد (22، 23) تشرين الاول وتشرين الثاني 1986 ، ص 6 .

يؤمنون بها، او الانظمة التي يعيشون بكفنها، او القيم والاعتبارات التي يدافعون عنها[2]، وبسبب كثرة الاجتهادات ضل المفهوم طريقه الى تحديده[3].

بل ومما زاد في التعقيد، لجوء الكثير من الكتاب الى اطلاق صفة الارهاب على كل عمل عنيف يصدر عن أحد الاطراف ضد الطرف الاخر[4]. فقد عرف (بريان كروزيير) الارهاب: "بانه استخدام العنف او التهديد باستخدامه لتحقيق الاهداف السياسية"[5] وعرفه (جنكنز): "بانه التهديد بالعنف او الاعمال الفردية للعنف والذي يهدف اولاً الى اشاعة الخوف والرعب، وان الارهاب عنف من اجل ليس فقط التأثير على الضحية الحالية للارهابين، وانما يهدف ايضاً الى العامة الذين يراقبون"[6] اما (ولكنسون) فقد اورد ان الارهاب هو "الاستعمال المنظم للقتل والهدم، أو التهديد بهما من قبل جماعة منظمة من اجل إخافة الافراد والجماعات والمجتمعات او الحكومات، بغية فرض الخضوع لمطالبهم السياسية"[7].

واذا كان تعريف الارهاب لم يتم الاتفاق عليه، فان تعريف الارهاب الدولي وارهاب الدولة هو الاخر لم يتم تحديده بشكل واضح، بسبب العلاقة بين الارهاب والاعمال الجنائية من جانب والعلاقة بينه وبين الجرائم السياسية والحق في الجوء السياسي من جانب آخر.

وبالرغم من هذه الصعوبات، فقد بذلت العديد من المحاولات سواء على مستوى الفقه الدولي او الممارسة العملية الدولية، والتي تتجسد في العديد من الاتفاقيات الدولية و القرارات الصادرة عن المنظمات الدولية لتعريف الارهاب في اطار قانوني[8].

ويبدو لنا، ان اقرب التعاريف الى الشمول ، ذلك التعريف الذي توصل اليه (جوليت لورج) في كتابه (Terrorism A Challenge to the State) الصادر عن جامعة اكسفورد عام 1982 حيث

---

2 Entony Bunton , Urban Terrorism (N. Y. Free Press 1976) p. 1 .

3 جون ديجوارد ، الارهاب الدولي ومشاكل تعريفه ، (مقالة مترجمة) ، مجلة الحق ، القاهرة ، السنة الخامسة ، العدد (3) ، 1974 ، ص ص 65 . 69 .

4 E. V. Walter , Terror and Resistance (London : Oxford Uni. Press , 1969) , p. 4 .

5 بريان كوزير ، الثائرون (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، 1965) ص 158 .

6 B. Jenkins , International Terrorism , A New Mode of Conflict (Los Angelos , Crescent , 1975) ,p . 1 .

7 P. Wilkinson , Terrorism and the Libenal , State (London : The Macmillan Press , 1977) p . 49 .

8 الدكتور عصام صادق رمضان ، الابعاد القانونية للارهاب الدولي ، مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، العدد (85) تموز ، 1986 ، ص 17 .

انظر ايضاً : الدكتور عبد العزيز محمد سرحان ، حول تعريف الارهاب الدولي وتحديد مضمونه من واقع قواعد القانون الدولي وقرارات المنظمات الدولية ، المجلة المصرية للقانون الدولي ، الجلد (29) ، 1973 ، ص ص 173 . 174 .

عرف الارهاب بأنه: "التهديد او استخدام العنف السياسي عندما يهدف هذا العمل الى التأثير في موقف او سلوك مجموعة اوسع من الضحايا المباشرين، أو عندما تتعدى عواقبه الحدود الوطنية"[9].

ويمكن القول، ان اكثر تعاريف الارهاب شيوعاً ، هو ذلك الذي يركز على الطبيعة غير الانسانية للعمل الارهابي، وهذا التعريف أخذت به المنظمات الدولية والاتفاقيات التي عقدت من اجل مناهضة الارهاب في العلاقات الدولية[10].

فقد عرفت مجموعة دول عدم الانحياز عام 1973 الارهاب بأنه: "اعمال العنف التي ترتكب من افراد والتي تُعرض للخطر ارواحاً بشرية بريئة أو تودي بها ، أو التي تهددالحريات الاساسية للانسان". كما ابرزت مناقشات بعض الوفود في الجمعية العامة اثناء طرح الدراسة التي توصلت اليها اللجنة الخاصة بالارهاب الدولي تعريفاً لهذه الاعمال بأنها "الاعمال الوحشية البغيضة التي تدينها جميع الدول أياً كانت مشاعرها، تجاه القضية التي يدعي مرتكبو هذه الاعمال انهم يناصرونها"[11].

وتأسيساً على ذلك، فالارهاب في ابسط معانيه ، هو استخدام العنف او التلويح به لتحقيق هدف محدد أو مصالح معينة[12]. بعبارة اخرى، هو استخدام الاكراه لاخضاع طرف آخر افراداً أو مؤسسات أو دولاً، لارادة القائمين بالارهاب... وعليه، فالارهاب يقترن بالعنف ويفترض استخدام وسائل هي في حد ذاتها غير مشروعة. وأياً كانت صورته التي يتضمنها العمل الارهابي ، هو في طبيعته اجراء لا تقبله اخلاقيات التعامل ولكن يستمد مشروعيته الاستثنائية في موقف معين يصير وحده المبرر والمستند لمثل ذلك السلوك[13]. ولكن منذ ان بدأ الاهتمام الدولي في اطار الامم المتحدة بمعالجة الظاهرة المسماة بـ"الارهاب الدولي " اضحى ثمة حرص واضح على التمييز بين اعمال الارهاب التي يروح ضحيتها اعمال بريئة ، وبين الكفاح المسلح الذي تمارسه حركات التحرر الوطني في حدود أهدافها

---

9 Juliet Lodge , Terrorism : A Challenge to the State (London : Oxford Vniver , Martin Robertson 1982) p . 5 .

10 على سبيل المثال : اتفاقية طوكيو لعام 1963 بشأن الجرائم وبعض الافعال الاخرى التي ترتكب على متن الطائرات ، واتفاقية لاهاي لعام 1970 المتعلقة بقمع الافعال غير المشروعة الموجه ضد سلامة الطيران المدني ، واتفاقية عام 1973 لمنع الجرائم المرتكبة ضد الاشخاص المتمتعين بحماية دولية ، ومن بينهم الموظفين الدبلوماسيين .

11 الدكتور عصام صادق رمضان ، الابعاد القانونية للارهاب الدولي ، المصدر السابق ، ص 17 . 18 .

12 G. Bouthoul , " Defintions of Terrorism " in D. Carlton and Carlton and Carlo Shaerf (ed.) International Terrorism and Warld Security (London : Croom Helm , 1975) pp. 51-53.

13 الدكتور حامد ربيع ، الارهاب الدولي ونظرية السياسة الخارجية ، مجلة المنار ، باريس ، العدد (22 . 23) ، تشرين الاول وتشرين الثاني ، 1986 ، ص 42 .

المشروعة ضد المستعمر[14]. ويظهر هذا الحرص في مختلف القرارات الصادرة عن الجمعية العامة للامم المتحدة، منذ القرار 3034 في الدورة 28 لعام 1973 وحتى القرار 6140 الصادر في 9 كانون الاول عام 1985 ففي الوقت الذي أدانت هذه القرارات ولو بصيغ مختلفة–ولكن متقاربة–جميع اشكال الارهاب الدولي، ولكنها اكدت في الوقت نفسه، على شرعية الكفاح المسلح لحركات التحرر الوطني[15].

فالارهاب، اذن يفترض إن المجال الطبيعي لممارسته هو من حيث العلاقة بين من يخضع للطغيان وسلب الحقوق، ومن يمارس ذلك الطغيان واغتصاب الحقوق المشروعة. بعبارة اخرى ان نطاقه هو في دائرة التعامل الداخلي أو الوطني ولا يتعدى ذلك، الا عن طريق الاستثناء.

المبحث الثاني: مدخلات الارهاب:

لا يكتمل البحث عن ظاهرة الارهاب ومفهومها، الا بعد دراسة المدخلات المؤدية اليها او التي تزيد من تفاقمها، حيث ان هذه الظاهرة اصبحت اليوم أحد اهم المشكلات التي تعاني منها الدول، فهي لاتأتي من فراغ، بل هناك عدة اسباب ومشكلات ومعضلات تنتجها... اذن ما هي اهم هذه المدخلات الرئيسية وراء ظهور هذه الظاهرة سواء على مستوى الفرد ام على مستوى الدولة؟ هذا ما سنتناوله في الفقرة الاتية:

اولاً: مدخلات الارهاب على مستوى الفرد:

تتعدد مدخلات الارهاب على المستوى الفردي حيث هناك دواعي واسباب متعددة ومتنوعة تؤدي بالفرد الى اللجوء الى الارهاب وهذه المدخلات تختلف باختلاف شخصية الفرد ونمط سلوكه

---

14 للتفاصيل انظر كلمة المندوب السوفيتي (سابقاً) خلال مناقشات اللجنة المخصصة لموضوع الارهاب الدولي ، الجمعية العامة ، الوثائق الرسمية ، الدورية الثانية والثلاثون ، الملحق رقم 37 (A/32 /37) الامم المتحدة ، 1977 ، ص 34 .

15 فقد اكدت الجمعية العامة للامم المتحدة في قرارها رقم 147/32 (الدورة الثانية والثلاثون ، 1977) مثلاً والخاص بالتدابير الرامية الى منع الارهاب الحق غير القابل للتصرف في تقرير المصير والاستقلال لجميع الشعوب الخاصة لنظم استعمارية وعنصرية ولغيرها من اشكال السيطرة الاجنبية ، وتقر شرعية كفاحها ، ولا سيما كفاح حركات التحرر الوطني ، وفقاً لاهداف الميثاق والقرارات الصادرة عن هيئة الامم المتحدة في هذا الشأن ..

وفي قرارها (159/39) الدورة التاسعة والثلاثين 1984 ، الخاص بعدم قبول سياسة ارهاب الدول ، حثت الجمعية العامة كل الدول على احترام ومراعاة السيادة والاستقلال السياسي للدول ، بكل دقة وحق الشعوب في تقرير مصيرها بما يتفق وميثاق الامم المتحدة ، وبالمثل حق الشعوب في ان تختار وبحرية وبدون أي تدخل خارجي نظمها السياسية والاجتماعية ، وان تتابع تنميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ..

انظر ايضاً بهذا الخصوص ورقة العمل التي قدمتها دول عدم الانحياز للجنة الخاصة بالارهاب عام 1979 .. وثائق الجمعية العامة للامم المتحدة عام 1979 (A /Ac. 160 /WG /R1) ، كذلك تقرير اللجنة الخاصة بالارهاب ، وثائق الجمعية العامة لعام 1979 ، ملحق رقم 37 (1/ 34 / 37 / الفقرة 118) .

والمشكلات النفسية التي تواجهه، فضلاً عن الافكار والمعتقدات والايديولوجيات التي يؤمن بها الفرد، والتي قد تؤدي دوراً مهماً في اندفاعه نحو العنف والارهاب.

فالجوانب النفسية وما يعتريها من متغيرات تؤدي دوراً مهماً في اندفاع الفرد نحو العنف، ولا سيما عندما تتعرض تلك الشخصية لبعض الاضطرابات التي تأخذ صورة امراض أو تقلبات نفسية حادة، والتي قد تعود بعضها الى اسباب وعوامل وراثية، كما قد تعود الى ضغوط عصبية مفاجئة نتيجة لمواقف معينة يتعرض لها الفرد، ومثل هذه الجوانب النفسية قد تكون الدافع الحقيقي للجوء العديد من الافراد الى الانشطة الارهابية[16].

من جهة اخرى، يجد الارهاب جذوره من مشاعر الاحباط واليأس والبؤس والمعاناة التي قد تفوق احياناً طاقة البشر على تحملها، حيث يضطر بعض الافراد الى تبني العنف اسلوباً ومنهجاً في التعامل مع الواقع البائس الذي يخفقون في التكيف معه[17]. او لايستطيعون معالجته وتغيره بالطرق السليمة.

وقد ظهرت مجموعة من النظريات حاولت ان تفسر السلوك الارهابي من وجهة نظر نفسية على المستوى الفردي، ولعل ابرز هذه النظريات[18]:

1. النظرية الفيزيولوجية:

تؤكد التجارب والخبرات الفيزيولوجية، ان السلوك العدواني المتطرف عند الفرد ناتج من زيادة عدد الكروموسومات الذكرية ، فبدل ان يكون نظام الكروسومات العادي عند الذكور (XY) يضاف (Y) جديد لهذا النظام فيصبح (XYY). فضلاً عن ذلك فان اضطراب الجينات (الموروثات) لدى بعض الاشخاص يحث على اتباع السلوك العدواني اكثر من غيرهم بفعل النشاط غير العادي للهرمونات التي تفرزها بعض الغدد الصماء في الجسم، حيث يؤدي هذا الاضطراب الى اتباع السلوك العدواني او العدائي الفض والذي يتمثل بالخشونة وعدم المرونة والتفكير الجامد وغير المجرد.. وفي المقابل يراهن علماء الاجتماع على بطلان هذه المزاعم وتطرفها دون دحض النظرية الوراثية أو

---

16 فؤاد قسطنطين نيسان ، الارهاب الدولي . دراسة تحليلية في طبيعة الظاهرة ومكانتها في التقاليد والممارسات الصهيونية ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية العلوم السياسية ، 1999 ، ص 43 .

17 د.محمد محمود ربيع و د.اسماعيل صبري مقلد ، موسوعة العلوم السياسية ، ص 638 .

18 اعتمدنا في هذه النظريات بشكل اساس على بحث: الدكتور الحارث عبد الحميد ، الارهاب والسلوك الارهابي في العراق ، لماذا ؟ كيف ؟ والى اين ؟ دراسة وصفية تحليلية ، مجلة دراسات عراقية الصادرة عن مركز العراق للبحوث والدراسات الاستراتيجية ، العدد (6) ، السنة الثانية ، كانون الاول 2006 ، ص 20 . 24 .

الهرمونية.. انطلاقاً من ان الاضطرابات الوراثية والهرمونية هي استعدادات في الجسم البشري وليست ثوابت، وانه هذه الاستعدادات سوف لن تظهر بوضوح على السلوك ما لم تجد لها البيئة الصالحة التي تزدهر فيها.

2- النظرية السلوكية:

تؤكد هذه النظرية على ان الارهاب سلوك انساني ، وكل سلوك انساني مكتسب يتعلمه الفرد من محيطه الذي يعيش فيه، فاذا كانت البيئة التي يعيش فيها الفرد، بيئة تحث على العنف والتطرف، فان العنف والتطرف يصبحان جزءاً من سلوك هذا الفرد(*). ويقول عالم النفس سكنر ان للتقليد دور بارز في تعليم السلوك العدواني وذلك لما يلاحظه الانسان في محيط الاسرة أو ما يشاهده في وسائل الاعلام المرئية من افلام سينمائية او تلفزيونية، والتي تقدم العنف والعدوان بصورة جذابة وخاصة عندما ينجح المجرمون في تجنب العقاب والهرب من العدالة.

3- النظرية المعرفية في التفسير[19]:

يعتمد هذا التفسير على طريقة التفكير التي ينطوي عليها الارهابي، ويؤكد العالم بيك، بان الطريقة التي يفكر بها الارهابيون غير منطقية، وعندما يفكر الانسان بطريقة غير عقلانية أو منطقية فان ذلك ينعكس على سلوكه ، فالسلوك الارهابي من قتل وتفجير لا يمكن قبوله منطقياً، وهذا ما يدفع المختصون للتساؤل عما اذا كان الارهابيون عقلاء اصلاً!!!!؟.

ان غياب التفكير المنطقي والعقلاني لدى الارهابين يؤدي الى تفسير هم لما يحدث حولهم انه موجه ضدهم من قبل من يتصورونهم اعدائهم، فهم لا ينظرون الى ما يحدث بواقعية، بل ينظرون اليه بصورة خيالية حيث يعيدون تشكيل الاحداث لتوافق الصورة الخيالية الموجودة في اذهانهم. لذلك فان خيالهم يصور لهم ان الناس صنفين خيرون: وهم من يقوم باعمال التدمير والتفجير والقتل وما اليها، واشرار وهم فئة الاعداء الذين يستحقون ما يقع عليهم من تدمير. ويعتقد الارهابيون دائماً انهم الضحية وما يقومون به من أعمال ارهابية هو دفاع عن الذات وعن قيم العدل والحق. كما ان الارهابين لا يجيدون لغة الحوار مع الآخر، فهم لا يسمعون الا صوتهم ولا يؤمنون الا برأيهم الذي هو نتاج تثقيف خاطئ ومسلمات عقلية ثابتة وراسخة.. ويُعد هذا التفسير من اكثر التفسيرات ملائمة مع الواقع الارهابي في العراق حالياً.

(*)

19 المصدر نفسه .

4- نظرية التحليل النفسي[20]:

ترى هذه النظرية، ان الارهاب سلوك عدواني مصدره الغرائز التي يولد بها الانسان حيث الصراع بين غريزة الموت وغريزة الحياة، حيث الأوُلى تدفع الى العدوان على الذات فتؤدي الى الانتحار والتفجير، وعلى الآخر فتؤدي الى القتل والتخريب والتدمير. وينشأ العدوان في داخل النفس البشرية من خلال صراعات غير محلولة تؤدي الى الاحباط والغضب واللذان يفضيان الى الاكتئاب اذا لم يجد حلولاً معقولة لهما. والاكتئاب شعور بالقنوط واليأس وكره الذات، والرغبة في تدميرها عندما يتوجه الى الداخل، أو تدمير الغير عندما يتوجه الى الخارج. وقد يقف وراء الصراعات الآنفة الذكر دوافع لا شعورية مكبوتة تتصارع فيها رغبات "الهو" مع رغبات "الانا" ego والانا الاعلى super ego وعندما تجد رغبات "الهو" المكبوتة في اللاشعور طريقاً للتنفيس والخروج الى مستويات الشعور متغلبة على الصراعات اللاشعورية مع الأنا والأنا الاعلى، تظهر السلوكيات المنحرفة المتضمنة للعنف والتطرف والعدوان واللامبالاة، كونها رغبات غير مشروعة سبق وان تم كبتها وقمعها في اعماق اللاشعور. ويبدو ان النظرة النفسية لهذه النزعة العدوانية على وفق هذه النظرية تشير الى ان المصابين بها هم مرضى ويحتاجون الى علاج في الدرجة الاولى وليس الى عقاب فقط.

5- نظرية الذكاء والقدرات العقلية:

تحاول هذه النظرية ان تربط بين الذكاء المتوسط ودون المتوسط والعمليات الارهابية التي يقوم بها المنفذون. وقد اثبتت التجارب أن عدداً كبيراً من المنفذين للعمليات الارهابية هم من الافراد ذوي الذكاء المنخفض لدرجة الضعف العقلي، اذا يكونوا سهلي الانقياد والتوجيه ومن ذوي المستويات الثقافية المتدنية حيث الجهل والبطالة سمتان رئيسيتان لهما. على عكس فئة المفكرين والمخططين ضمن مكونات واركان العملية الارهابية، فغالباً ما يكون هؤلاء من ذوي الذكاء المرتفع والتعليم العالي والقدرات العقلية المرتفعة، والتي يستخدمونها في اغواء الضعفاء من ذوي الذكاء المتدني تعويضاً عن الشعور بالنقص في اعماقهم.

6- نظرية الضبط الذاتي[21]:

يقصد بالضبط الذاتي لدى الفرد هو القدرة على التحكم في المشاعر والانفعالات والافكار وكيفية اشباعها اعتماداً على اساليب التربية الاسرية والتنمية المجتمعية الرصينة التي تجعل من الفرد

---

20 المصدر نفسه .

21 المصدر نفسه .

قادراً على التحكم والسيطرة على ذاته في مختلف السلوكيات التي يمارسها. وترجع هذه النظرية، الارهاب والعنف والجريمة الى ضعف القدرة على الضبط الذاتي الذي يكون نتيجة للتربية الاسرية والاجتماعية ونتيجة لغياب القوى الاجتماعية والتربوية التي تُسهم في تدريب الافراد على الالتزام بالمعايير الاجتماعية والاخلاقية والقانونية للجماعة وبمحبة ودون خوف أو ترهيب. فالارهابي المنفذ خاصة لا يقيم وزناً للنظام الاجتماعي ولا يكترث بما يصيب الآخرين من آلام، حيث غياب القدرة على الالتزام بالقانون او النظام على وفق اخلاقيات المجتمع وضوابطه .

ثانياً: مدخلات الارهاب على مستوى الدولة:

اذا كانت مدخلات الارهاب على مستوى الفرد تؤهله او تدفعه الى ان يكون مستعداً للجوء الى العنف والارهاب ، فان هذه المدخلات على مستوى الدولة تؤدي الى جمع هؤلاء الافراد في قوالب واطارات وجماعات محددة التي تؤمن بالعنف والارهاب سبيلاً لتحقيق غايتها.. بمعنى ان مدخلات الارهاب على مستوى الدولة تساعد في تأطير هذه الظاهرة وجعلها منتظمة ومنسقة. وهناك اسباباً عديدة يمكن ان تساعد على ايجاد بيئة ملائمة أو منتجة للارهاب ومنها:

1- المدخلات السياسية:

تعاني الكثير من الدول التي تظهر فيها ظاهرة الارهاب من العديد من المشكلات والازمات السياسية، منها استبدادية الحكم، وانعدام الديمقراطية وضئالة المشاركة السياسية او انعدامها للمواطنين، فضلاً عن منع الحريات العامة والتعبير عن الرأي، مما قد يؤدي الى لجوء البعض الى الارهاب[22]..

فالظلم وفقدان سيادة الشعب والاضطهاد، يولد دوماً غضباً وشكاً في الحياة نفسها وقيمتها، وفي العنف والارهاب تجتمع كل هذه مع مشاعر اخرى داخل وعي ايديولوجي يبرر (ضرورة العنف وربما الارهاب) للوصول الى الغايات..

ففي الدول التي تفتقر أحزاب المعارضة الى الدينامية والقاعدة الواسعة من الدعم السياسي ، ويعاني المجتمع المدني فيها من ضعف نتيجة للقيود القانونية الصارمة واساليب القهر التي تلجأ اليها أنظمة الحكم كالحد من التعبير السياسي، وعدم وجود وسائل اعلام مستقلة على نطاق واسع، يؤدي

---

22 سليفا باور ، الارهاب يأتي بعد كل نظام ديكتاتوري ، مجلة النبأ ، العدد(78) ، السنة الحادية عشرة ، آب 2005 ، ص ص 120. 121 .

القمع الحاد الى تقويض النشاط السياسي ، ويضع المعارضة السياسية المعتدلة في ظروف غير مواتية سيئة مما يدفع بها الى تشجيع التطرف السياسي[23].

ان هذا القمع والاضطهاد للآخر، السياسي أو العرقي أو الديني أو المذهبي لا بد ان يكون الارهاب احد افرازاته، كما ان غياب قنوات سليمة وسلمية للتعبير السياسي وتعاقب السلطة بشكل غير سلمي قد يؤدي الى اللجوء الى الوسائل الاخرى، وكما يقول "انتوني آربلاستر"، فان الارهاب كشكل من اشكال العنف قد يمارس من قبل اولئك الذين اصبح لديهم أمل تغيير الوضع القائم مستحيلاً أو يكاد يكون كذلك، حيث يسهم الاضطهاد والقمع في عدم ترك المجال مفتوحاً امامهم سوى الرد بالمثل، وليس هناك من اسلوب أشد فعالية من الارهاب في مثل هذه المواجهة .

ان تبني إسلوب الارهاب كسلاح في الصراع السياسي في العديد من الحالات وظهور التنظيمات الارهابية كان قد نشأ من انعدام امكانية ادارة الصراع وبشكل فعال عن طريق وسائل سياسية مفتوحة حيث يكون القمع أو التعذيب والتصفية هي التجربة المشتركة لهؤلاء الذين يناضلون ضد الانظمة الاضطهادية.

وعليه يمكن القول، ان الاقصاء السياسي وضعف الحريات السياسية واقفال باب المشاركة السياسية الفعالة من قبل فئات عريضة من المجتمع والناجم عن سيادة النظم السياسية الاستبدادية وتشجيعها في بعض الاحيان للعنف، يؤدي الى ايجاد فجوة كبيرة بين الحاكم والمحكوم وقد يؤدي الى نزوع بعض الافراد والجماعات الى الارهاب والعنف المضاد كوسيلة للاستمرار والتعبير عن الذات[24].

2- المدخلات الاقتصادية:

تشكل الازمات الاقتصادية التي تعيشها معظم دول العالم دافعاً كبيراً لنشوء الجماعات الارهابية، فالسياسات الاقتصادية غير الملائمة مع الواقع الاجتماعي للدولة، قد تؤدي الى احداث فجوة تتسع تدريجياً بين الفقراء والاغنياء، وبعض المتعلمين وذوي المصالح الاقتصادية الواسعة وبين غير المتعلمين من فئات اقتصادية مهمشة، أو بين من يملك ويحاول زيادة هذه الملكية باي صورة كانت حتى وان ادت هذه الى افقار وتهميش شرائح واسعة من المجتمع، وبين من لا يملك. هذه كلها تنتج

---

23 يوسف محمد صادق الزلمي ، الارهاب والصراع الدولي ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية العلوم السياسية / جامعة النهرين ، 2006 ، ص 48 .

24 المصدر نفسه ، ص 50 .

مناخاً ملائماً لبروز قاعدة واسعة مستعدة للتضحية بكل ما لديها، وحتى الانضمام الى الجماعات الارهابية من اجل التخلص من هذا الواقع المأساوي أو تحقيق مكانة ارفع داخل المجتمع.

إن الفقر ينتج الاحباط واليأس والحقد على المجتمع وكيانه مما قد يؤدي بالانسان الى الانتقام منه ومحاربته، فضلاً عما يصاحب الفقر من اوضاع اجتماعية ونفسية مزرية قد تولد الاحساس بالظلم والاضطهاد ومن ثم التورط في الجرائم الارهابية، سيما اذا ارتبط الفقر بالبطالة وانتشارها بصورة واسعة لدى فئة الشباب خاصة، فانه يولد شعور بالعجز واليأس من ناحية وشعورهم بالاحباط من ناحية اخرى... هذا الواقع قد يرتبط مع جهات أو جماعات مستعدة لتقديم اموال كبيرة لقاء اعمال ارهابية يستشعر معها الشباب انهم يقومون بعمل ما وان كان ذا طابع عنيف أو دموي ولكنه بالنسبة اليهم عمل هادف يستحق الجهد المبذول فيه. كما ان سوء توزيع الثروة والموارد المادية المتاحة وتوفير الحاجات الاساسية للناس على نحو متوازن، يفرز قدراً متعاظماً من الظلم الاجتماعي والحرمان النسبي لدى قطاعات كبيرة من السكان، والتي تؤدي الى الاحساس بالتهميش والدونية لدى قطاعات واسعة داخل المجتمع من قبل السلطة السياسية مما يخلق حالة من الغضب والنقمة لدى هذه القطاعات تجاه السلطة السياسية والتي يمكن ان تترجم من خلال الاعمال الارهابية[25].

3- المدخلات الاجتماعية والثقافية:

البيئة الاجتماعية والثقافية يمكن ان تؤدي دوراً مهماً في نشوء وانتشار ظاهرة الارهاب. فالبيئة الاجتماعية والثقافية والسياسية هي المحيط الذي ينشأ فيه الفرد داخل المجتمع، لذلك لا بد وان يكون مؤثراً على التنشئة الثقافية والاجتماعية للافراد. حيث تمثل الاسرة اللبنة الاولى لهذا البنيان، فاذا كانت اللبنة سليمة كان البنيان قوياً ومتماسكاً، اما اذا كانت ضعيفة قد تؤدي ذلك الى ان يكون المنتج أي الافراد التي احتضنتها تلك اللبنة تعاني من مشكلات كثيرة نفسية واجتماعية سيما اذا كانت الاسرة تتبع اساليب تربوية غير سليمة أو من خلال القهر الذي يمارسه الاباء داخل الاسرة. وهذا النمط من الاسرة يمكن ان تقدم فرد متطرف علماً ان خروج هذا الفرد من الاسرة، قد لا يؤدي الى التحرر منها، بل بداية لرحلة البحث عن فضاءات يمكن من خلالها اعادة التجربة التي نشأ من خلالها في الاسرة... ولا يبقى له وسيلة للتعبير عن معاناته الآ باستعارة اساليب القمع الممارسة ضده ذاتها، وبالتالي يكون المجتمع هو المرشح للعنف والارهاب.

---

25 يوسف محمد صادق الزلمي ، المصدر السابق ، ص 52 .

كما ان المجتمعات المهمشة التي تعيش حالة الضنك في كل مراحل حياتها هي مجتمعات مريضة، لانها لا تحيا حياة طبيعية، كما ان الفرد الذي يعيش في هذه المجتمعات ، يكون سلوكه العام سلوكاً مضطرباً وبالتالي ربما ينجر الى السلوك الارهابي[26].

المبحث الثالث: ما العمل؟

ان مسؤولية مكافحة الارهاب ومواجهته والوقاية منه وعلاجه لا تقع على افراد محددين أو منظمات أو دوائر محددة في الدولة، بل هي مسؤولية الجميع، كما هي مسؤولية المؤسسات التربوية في المجتمع بغض النظر عن طبيعة الولاء لهذا النهج السياسي أو الفكري أو الديني أو المذهبي ، فأمن الوطن واستقراره وتطوره وتقدمه ورقيه هو مطلب ورغبة وأُمنية يحملها الجميع في عقولهم وقلوبهم.. وانطلاقاً من هذا التوجه في فهم معنى الارهاب وحجم ايذاءه للمجتمع، تتوزع ادوار الرقابة على اكثر من صعيد داخل المجتمع وكما يلي:

. دور الاسرة والعائلة

ان الاسرة ممثلة بالام والاب والاخوة والاخوات، هي المكان الاول في حياة الفرد الذي تتبلور فيه الشخصية وتتكون من خلاله الضمير وترسخ القيم والاخلاق والنظام والالتزام. ان ما يتعلمه الطفل في داخل الاسرة من قيم و اخلاقيات وسلوكيات وافكار، سرعان ما ينقله عندما يكبر الى المجتمع مروراً بالمدرسة التي تشكل المحطة الثانية في حياة الفرد.. فالابتعاد عن التسلط والاستبداد، وارساء دعائم الحوار والمناقشة وتعزيز بُنى الشخصية الاستقلالية للطفل في داخل الاسرة وفتح قنوات الاتصال بين المجتمع على اساس التفاهم والمصارحة، كل هذا يبني انساناً مستقلاً قوياً يصعب انقياده وتحوير افكاره وانجرافه في تيارات متطرفة وارهابية[27].

. دور المدرسة والمؤسسات التعليمية:

ونقصد بالمدرسة بدأً من رياض الاطفال وصولاً الى الجامعة حيث هي المحطة الثانية والاهم في ادوار بناء الشخصية للفرد.. ان الفلسفة التربوية الحديثة في الارشاد التربوي حول طبيعة العلاقة بين المعلم والطالب والطالب والطالب، والادارة والمعلم والطالب تؤكد على ان المشكلة الاساسية هي ليست

---

26 المصدر نفسه ، ص 53 وما بعدها .

27 د. الحارث عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص 46 .

في المناهج والكتب المقررة، بل في طريقة ايصال الرسالة التعليمية، فضلاً عن تعليم الطالب انماطاً جديدة من التفكير العلمي والابداع بعيداً عن التلقين..

ان تعويد الطالب على كيفية اكتساب المهارات والخبرات من خلال التفكير الابداعي المتفتح والعصف الذهني المستمر واسلوب حل المشكلات يجعل منه قادراً على توسيع مداركه ومعلوماته ويخلق لديه القدرة على البحث والمتابعة والنقد وقبول الرأي الاخر.

ومن خلال هذه المنطلقات نكون قد ضمنا جيلاً بعيداً عن التفكير المتعصب والمتطرف والارهابي، لان هذا الفكر لا يمكن له ان ينمو في ظل تفكير عقلاني وعلمي وابداعي ومنطقي.

. دور المؤسسات الامنية والاعلامية[28]:

ان الدور الحضاري والفاعل الذي تضطلع به المؤسسة الامنية في المجتمع هو ليس محصوراً بالقوة والمراقبة والمتابعة والتحقيق ، وغير ذلك من الواجبات الامنية الصرفة، بل يتعدى ذلك الى التوجيه والارشاد والتحقيق والتوعية والوقاية من الجريمة قبل حدوثها وبالتنسيق مع مراكز البحوث والدراسات والجهات ذات العلاقة بالمجتمع المدني ومنظماته الفعالة في المجتمع وذلك لتحقيق الهدف الاسمى لدور هذه المؤسسات، ألا وهو الحفاظ على الامن في المجتمع وترسيخ دعائم الاستقرار، وتوطيد العلاقة الطيبة والكريمة التي يشوبها الاحترام بين رجل الامن والمواطن.

فضلاً عن ذلك، فان المهمة الاساسية امام المؤسسة الامنية، هي القضاء على الارهاب في المجتمع ووقف العمليات الارهابية التي تقضِ مضجع الناس وتنتهك حرماتهم، ولا يمكن ان يتحقق هذا الهدف من خلال التركيز على ملاحقة الارهابين وقتلهم أو احالتهم الى القضاء فقط، لانه في هذه الحالة يمكن الاقتصاص من وجه واحد من اوجه الارهاب، أي التعامل مع الشبكات الارهابية يتم على وفق نظرة شاملة جامعة، فالمفكرون والمخططون والمحرضون والممولون والحاضنون للعمل الارهابي هم الاخطر من المنفذين.. وتأسيساً على ذلك، فعلى المؤسسات الامنية ان تستعين بالجهات البحثية والعلمية خارج مؤسساتها وتستعين بالباحثين لتقديم الدراسات العملية والعلمية والتي هي وحدها وبالتعاون مع الجهات الأمنية القادرة على القضاء على الارهاب، لان الارهاب هي مشكلة فكرية وسياسية وتربوية واقتصادية قبل ان تكون مشكلة أمنية..

كما يقع على الاعلام المنصف والموضوعي مسؤولية أخلاقية كبيرة، هي رصد الظاهرة والابتعاد عن المبالغة والتحريض والذاتية في الطرح.. ويمكن ان يتم هذا من خلال الحوار الصريح

---

28 المصدر نفسه ، ص ص 48 . 49 .

والشفاف مع الأراء المختلفة وعرضها بطريقة موضوعية منصفة، لان مجرد فسح المجال امام الرأي والرأي الآخر المعارض أو المختلف، هو عملية تنفيس وتفريغ لكل اصحاب الاراء والذي من شأنه ان يخفف الغلواء ويقلل من التطرف والعنف[29].. وتعُد مهمة التثقيف والتوعية المجتمعية من أولى المهمات لتوسيع المدارك وتحليل المواقف باطار موضوعي غير متعصب لهذا الفكر أو ذاك ودون تطرف أو غلو أو مبالغة وبعيداً عن الانفعال والتشنج ودون اثارة النزعات والافكار والتوجهات التي تثير نفوس ابناء الشعب من المتلقين ذات الطابع المذهبي أو العرقي أو العنصري.

. دور المؤسسة الدينية:

يتحمل مسؤولية هذا الدور علماء الدين والمفكرين والتربويين والمنظرين في هذا المجال الحساس والمهم الذي يتسم بالخطورة. ويبدأ التثقيف الديني في مجتمعاتنا العربية والاسلامية من الاسرة حيث تؤدي الدور الاساس في ترسيخ المفاهيم الايمانية الأساسية والتي يجب ان تكون في أطار المحبة والتسامح والاحترام للآخر. ان البدء بغرس ثقافة الايمان في البيت والمدرسة للاطفال والمراهقين والراشدين والتي قوامها التوحيد والتقوى والعمل الصالح هو البذرة الاولى التي تفتح الباب أمام الشباب لتعليم ثقافة جديدة بعد ثقافة الايمان، ألا وهي حوار الثقافات.. مع الاخذ بنظر الاعتبار المرونة في النظرة الى الآخر واحترام اراءه وافكاره مع تقوية ملكة العقل الناقد من خلال الحوار البناء والهادف وغير المتطرف.

ان الابتعاد عن التلقين والوعظ والتثقيف الديني الأحادي النظرة، والذي يعتمد فكراً محدداً هو الذي يرسخ ثقافة التعصب وعدم التسامح وان التوجه والتثقيف والتعليم لادب الحوار والنقاش الهادف، والمصادر الاساسية لتعليم الشريعة الاسلامية من منابعها الأصيلة، والحد من الكتيبات والاشرطة السمعية التي تشجع على التطرف والفكر الاحادي الديني أو المذهبي وتكفير كل من يؤمن بعداه، يُعد الوسيلة الامثل في مواجهة الفكر الارهابي ، ويخدم ديننا الحنيف الذي يتسم بالمحبة والتسامح والتصالح ونبذ الكراهية والبغضاء واقصاء الآخر.

الخاتمة:

---

29 للتفاصيل عن التطرف انظر: علي حرب ، العالم ومأزقه . منطق الصدام ولغة التداول ، ط 1 (المغرب : المركز الثقافي العربي ، 2002) ، ص 37 .

انظر ايضاً: روجيه غارودي ، نحو حرب دينية ؟ جدل العصر ، ط 2 ، ترجمة صباح الجهيم (عمان : دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع ، 1997) ، ص 30 .

اتضح لنا من هذا البحث المختصر، ان الارهاب عمل منظم وغير محكوم بقوانين الصدفة، انه فعل منضبط يعتمد على اسلوب التحضير والاعداد المسبقين بكل ما يترتب على ذلك من دراسة دقيقة لادوات الفعل ووسائل تنفيذه، وان استخدام العنف يعد عنصر اساس مرافق للعمل الارهابي، بل هو اكثر العناصر المكونة للارهاب خطورة نظراً لحجم الاضرار التي يمكن ان يحدثها في الارواح والممتلكات.. والعنف في العمل الارهابي ليس غاية بل وسيلة توظيف في ممارسة ضغط من أجل تحقيق هدف سياسي محدد ولايسعى الفاعل عادة من خلال عمله الى تحقيق مكاسب شخصية بل قد يدفعه ايمانه بـ(عدالة) قضية ما الى التضحية بنفسه، ويُعد نفسه جندياً مكلفاً بتنفيذ مهمة (شريفة).

والارهاب ظاهرة لم تولد من فراغ أو من العدم، وانما هناك اسباب ومدخلات سواء أكانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو ثقافية وعلى صعيد الفرد أو على مستوى الدولة.

وان العوامل الاسياسية التي تنتج الارهاب وتساعد على انتشاره هي التطرف والتعصب واحتكار السلطة وتغييب الآخر فضلاً عن ضعف التربية الاسرية والقيمية، وان السلاح الامضى في محاصرة الارهاب هو نبذ التعصب واشاعة ثقافة التسامح بين الافراد والجماعات الاثنية والاجتماعية والدينية وبين السلطة والمجتمع ووضع الحلول اللازمة لها، لانه لا يمكن القضاء على الارهاب بالقوة وحدها، ولكن يمكن مكافحته بعلاج اسبابه ودوافعه من اجل مجتمع آمن خال من العنف والارهاب.